استعادة

الشحرور الأبيض قارئاً معاصريه

محمد شكري غواية النقد أيضاً

صحيح أنّ الكاتب المغربي، الذي تمرّ اليوم الذكرى الثامنة عشرة لرحيله، ما يزال حاضراً بقوّة في المشهد الادبي العربي، لكنّ اسمه لا يكاد يحضر إلّا مقروناً ببعض المقولات المكرّرة. هنا عودة إلى مساحة اخرى من تجربته: آرائه النقدية

مزوار الإدريسي

يومَ 17 تشرين الثاني/ نوفمبر 2003، وُري في تلّة تَطِلّ على زرقة المَضيق بطنجة جثمانُ محمد شكري، الذي تحلّ اليوم الذكرى الثامنة عشرة لرحيله (15 تمّوز/ يوليو 1935 في قرية بني شيكر ـ 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 2003 في الرباط)، أشهُر الكاتب المغربي باجترأحه الكتابة والقراءة في مُستهلّ العشرين من عمره، وبلغته الانتباه إلى الأدب المغربي المكتوب بالعربية، وتبوّئه مقعداً مُحترماً ضمنَ الأدب العالمي، لا يُضاهيه فيه من العالم العربي سوى قلة قليلة من الكتّاب. ولعلّ في الاستدلال بترجمة عمله «الخبز الحافي» إلى أكثر من 50 لغة ما يُعضّد هذا الرأي.

محمد شكري أمازيغيٌّ ريفي، اضطرّت المجاعةُ عائلتَه إلى الهجرة من البادية للاستقرار في تطوان، التي فرّ منها إلى طنجة، بعدما عانَين العنفَ الذي مارسه على أسرته أبوه المدمن على السُّكر، وليكونَ فيها شاهداً مجدّداً على العنف في حقّ الصِّغار، الذي وقع هو نفسُه ضحيّتَه، وقد حكى ذلك في سيرته التَّخييلية الذاتية، «الخبز الحافي»، وفي بعض اللقاءات مع الصحافة الأجنبية بالخصوص.

عُرفت عن محمد شكري عصاميّتُه؛ فبإرادة وإصرار فولاذيَّين تمكّن من تعلُّم اللغة العربية الفُصحى، في بداية العَقد الثاني من عمره، ناهيك عن عدد من اللغات الأجنبية التي أدركَها، خصوصاً الفرنسية والإسبانية والإنكليزية، والتي كانت تُتداول في طنجة الخاضعة وقتَها للنظام الدَّولي، دون باقي الوطن المغربي.

لقد جعلت هذه الظروف الفريدة من شكري استثناءً ضمن تاريخ الكتابة العالمي، لكنّها لم تشفع له لتَقبّه التعرُّض لأصناف من الإنقاء، الذي أغفل قيمتَه الإبداعية، وركّز على الجانب الأخلاقي في كتابته وفي سلوكه أحياناً، وهو ما يُؤاخَذ على كثير من أصدقائه الكُتّاب والنُّقاد، وغيرهم الذين يستحضرونه في لقاءات، أو يُحيون ذكرى رحيله، بالخوض في نوادره وحكاياته معهم، ويَغفلون عن إبرازِ الأصالة الإبداعية في مُنجَزه الأدبي المتفرّد، وتلك، في رأيي، هي الميزة التي حوّلته إلى مثقّف ومُبدع مختلف عن الآخرين.

في الواقع، لا أحد يُمكنُه أن يرتاب في قيمة وأهمية محمد شكري ضمن المشهد الإبداعي المغربي والعربي، لأن هناك من النُّقاد مَن عُني بذلك مثل يحيى بن الوليد، لكنّ ما أودّ الإشارة إليه هو بعضُ من اللمحات النقدية لديه، تلك التي تكشف عنها آراؤه في أدباء ونصوص ومواقف وقضايا أدبية تُقدّم عنه صورة المثقّف والأديب المتكامل.

لا مِراء في أنّ المواقف النقدية لشكري يُمكن تبيُّنُها في بعض أعماله، مثل زمن الأخطاء، لكنها تَرد واضحة في كتابه «غواية الشحرور الأبيض»، الذي نادراً ما يُلتفتُ إليه، علماً بأنه يُطلِع قارئه على سيرورة التكوين الإبداعي والنقدي لصاحبه، وعن وعيه النقدي الحادّ، الذي طبّعتْه عدم مهادَنة الكُتّاب الذين قرأ لهم، صادراً في ذلك عن اقتناع راسخ مَقولُه هو «أننا نكتُب عن القبح والجمال كما هما».

ويبدو أنّ شكري قد تحرّى في «غواية الشحرور الأبيض» التعرُّض أو الاعتراض على الكُتّاب الكِبار في العالم العربي، لعدم رضاه عن اختياراتهم الجمالية، وعن مواقفهم الفكرية، وقد كان نجيب محفوظ أوّلهم، لمّا تعقّبَه بالنقد في روايته «اللّص والكلاب»، التي تُعدُّ من أكثر نصوص الكاتب المصريّ رواجاً بين عموم القرّاء، خصوصاً تلاميذ المؤسّسات التعليمية وطلبتُها، فابتزّ الكثير من الخلل في بنائها وأسلوبها.

يقول محمد شكري في كتابه، معلّقاً على جملة لنجيب محفوظ: «يا له من مسكين بسيط كالمساكن في عهد آدم». هل يعرفُ نجيب محفوظ كيف كانت المساكن في عهد آدم حتى يأتي لنا بهذا التشبيه، الذي يخلو من فنية أسلوب الكتابة العصرية؟ ثم بعد ذلك يقول: 'السلام عليكم يا سيدي ومولاي'. عندما يكتب نجيب محفوظ مثل هذه الجملة يبعث في القارئ الكسل: 'يا سيدي ومولاي. لا داعي لهذا الترادف». وبِاستحضار شكري لأمثلة كثيرة من نصوص محفوظ، ينتهي إلى ردّ هذا الضّعف إلى ما صرّح به نجيب نفسه بقوله «إنّه لا يُكلّف نفسَه كثيراً في جمع مواد أعماله الأدبية»، من جهة، وإلى افتقاده الانغماس في صميم الحياة بتَقلّباتها المتنوّعة، لأن حياتَه ـ مثلما قال محفوظ نفسُه ـ ظلّت محصورة بين الوظيفة والمنزل، فهي لا تُقارن بتجربتَي همنغواي او سارتر مثلاً. هذا «النقص في التجربة العميقة هو الذي يجعل معظم أبطاله يبالغون في تقدير الأحداث والأشياء، التي ربما سمعوا عنها، ولم يعيشوها». ويُستشفّ من هذا الكلام أيضاً أن «التجربة العميقة»، أي تجربة المعيش، هي التي تُزوّد المُبدع القدرة على التعمّق في فهم النفسيات والأحداث وبناء العمل التّخييلي بناءً مُحكماً وواقعياً.

ويستنفر شكري حاسّته النقدية في الرّد على الناقد سامي خشبة، الذي انتقد الكاتب المغربيّ «بطريقة تهكّمية استصغارية» في قصّته «العنف على الشاطئ»، المنشورة في أحد أعداد مجلّة «الآداب البيروتية»، عام 1966. لقد اعتمد شكري مقاربةً نقديةً تتوسّل بالمُقارنة الأدبية بين قصّته «العنف على الشاطئ» من جهة وعمَلي «الغريب» لكامو و«إيروسترات» لسارتر، من جهة ثانية، ثم توسّع في مراجعة آراء سامي خشبة باستحضار أمثلة قصصية لكُتّاب عالميين كبار، مثلما لجأ إلى معارفه في علم النفس ليُبيّن اختلال المعايير النّقدية لمنتقده، وليؤكّد باسلوب غير مُباشر أن النّعالُمَ والتسرُّع النقديّ هو ما وقع فيه الناقد المعروف.

ولا يعني انتقادُ شكري لنجيب محفوظ وسامي خشبة تحاملاً منه على المشارقة أو نزوعاً إقليمياً، فالمغاربة لم يسلموا من نقده أيضاً، ونكتفي بالنقد العنيف الذي صوّب طلقاته إلى الطاهر بن جلّون، لمّا أدرجَه ضمن الذين «يكتبون تحت الطلب»؛ فبسخرية لاذعة شبّهه بـ«هؤلاء الفنانين الذين يُنتجون بعض الأعمال الفنية أو الأدبية حسبما يوصي المرء على حذاء، قميص أو بدلة».

(أكاديمي ومترجم من المغرب)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

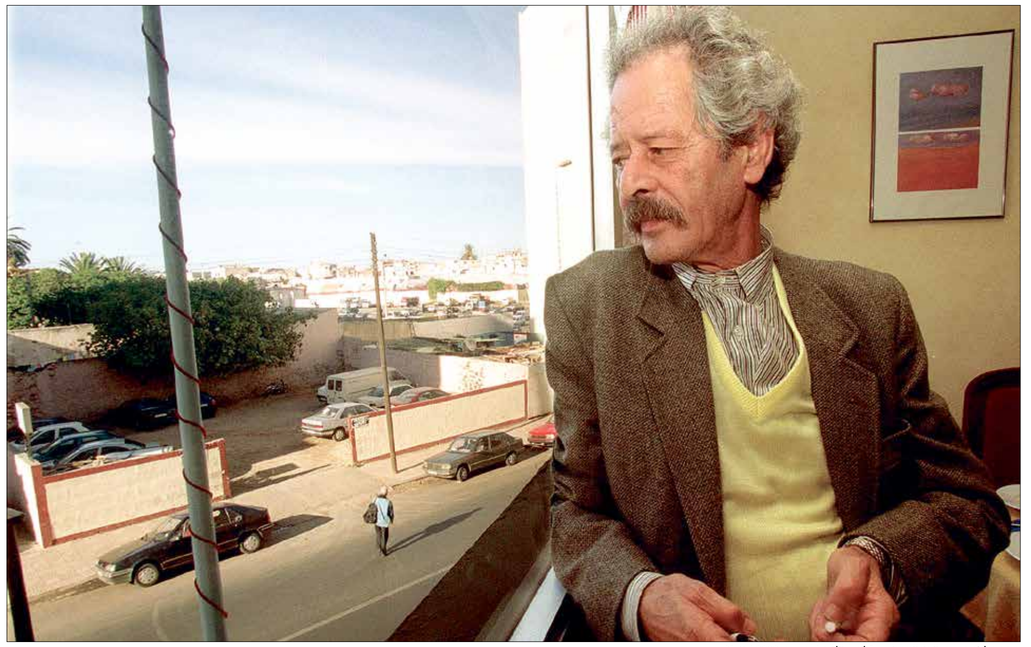

محمد شكري في الدار البيضاء، 5 تشرين الثاني/ نوفمبر 2000 (Getty)

> انتقد كتّاباً عرباً كباراً لعدم رضاه عن رؤاهم الجمالية
>
> لا يُترجمون لبعض كُتّابنا حتى يبلغوا شيخوختهم القاتلة

قتْل الآباء بالكلمات

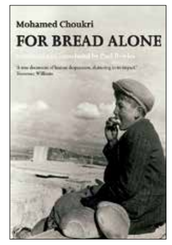

لا يخفى ان محمد شكري سعى، في «الخبز الحافي»، إلى الانتقام من ابيه، لكن بالكلمات؛ قتل اباه البيولوجيّ رمزيّا عبر الاعراب عن كرهه له والتنديد بافعاله. وربما اسقط امتعاضه من الابوّة على الكتابة، إذ نجد السلوك نفسه في قراءته وقتله الرمزيّ لعرّاب الرواية العربية، نجيب محفوظ، بل يمكن الذّهاب الى تأصّل هذه النزعة فيه، إذ يُمكن تلمُّسها في موقفه من عدد من الكُتّاب والمترجمين الذين كانت لهم افضالٌ عليه.

وقفة مع

بلال خبيز

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته لقرّائه

لوس الجلوس ـ العربي الجديد

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

أكثر ما يشغلني هذه الأيام هو انعدام دور المثقّف أو ضموره إلى الحد الذي لم يعد يملك معه أي تأثير في الشأن العام. لا أتحدث في هذا السياق عن المألوف من الخطاب الذي لطالما ادعى أن الحكومات وأهل السلطة يعملون ما جهدوا على تجاهل دور المثقّف في المجتمع. ما أتحدث عنه يتعلق بواقع أن السلطات الجديدة التي تتحكم بمسار حياة كل البشر في الكرة الأرضية، لا تتأثر بأي اعتراض أو ثورة أو احتجاج، ولا علاقة لها بما يعتمل في الاجتماع من غضب أو حيرة أو قنوط إلخ... فكل هذه الحالات قابلة لاستيعابها في ماكينتها الضخمة والاستفادة منها، بل، أصبحت تحث عليها وتتطلبها. وجود الفقر اليوم أو الجريمة مطلب من مطالب هذه السلطات وعملية نشرها وإعلانها تدر عليها أرباحاً طائلة. أليس لافتاً أن مايك تايسون كان نجما عالمياً خلال رحلة صعوده وخلال رحلة تهاويه؟

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

آخر أعمالي المنشورة هو كتاب نقد فني بعنوان» التقدم نحو الكارثة»، وقد صدر عن دار النهضة العربية ببيروت. هذا الكتاب وإن نشره جاء متأخرا أكثر من عقد على إنجازه، إلا أنه يبدو لي ما زال قابلا للانتشار وما زال قادرا على إثارة بعض النقاش. لكن ما أعمل عليه اليوم لم يعد متصلا بوشائج قوية مع هذا الكتاب وما سبقه. ذلك أن مياها كثيرة جرت في العالم خلال العقد الأخير، وأود أن أحسن السباحة فيها لئلا أغرق. اهتماماتي اليوم كما أسلفت بعيدة كثيرا عما كان يدور في خاطري في تلك الفترة. حيث كنت أؤمن أن دور الثقافة لا غنى عنه مهما تغيرت طبيعة الاجتماع والاقتصاد.

■ هل أنت راض عن إنتاجك ولماذا؟

لست راضيا البتة. هذا الشعور يلازمني منذ سنوات. ما الذي كتبناه؟ ولماذا كنا نكتبه؟ هل كانت تلك الكتابة تهدف فقط لإمتاع القارئ، وهو يكتشف ولادة الفكرة كلمة بعد كلمة؟ في الأصل لم أكن أريد أو اطمح أن أكون ساحرا أرضي المشاهدين وامتعهم بإخراج الأرنب من القبعة. كنت أريد مما أكتبه المساهمة في تغيير أحوالي وأحوال من حولي. وفي محاولة اللحاق بالمستجد لئلا أصبح منتهي الصلاحية، ومجرد متقاعد على مقهى رصيف. اليوم الأسئلة التي تحضر في ذهني مريرة. على سبيل المثال، ماذا لو لم تولد قصيدة النثر، هل كنا سنتأثر كثيرا؟ لكن سؤالا من قبيل ماذا لو لم يصنع الهاتف الذكي؟ يستحضر إجابة مختلفة تماما. كما لو أن مثل هذه المنتجات تمحو ما قبلها تماما. في حين أن قصيدة النثر لم تنجح في محو ما سبقها. ذلك أن كل الفنون منذ فجر التاريخ تعيش معنا في هذه اللحظة. الخشبة التي تتملكني الآن، تتلخص بالسؤال التالي: متى تصبح كل أعمالنا وجهودنا بلا أي قيمة على الإطلاق؟ وأرجح أن بقاءها معاصرة وحية لن يدوم طويلا.

■ لو قيض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

بناء على وعيي الراهن، كنت سأختار مسار الاستمتاع في كل لحظة من لحظات حياتي. الاستمتاع من دون حمل المتعة على معنى أكبر منها. وبدخل في هذا السياق الاستمتاع بالفشل مثلما يدخل فيه الاستمتاع بالنجاح، بل وبصورة أكبر وأكثر كثافة. هل كنت سأكتب؟ أرجّح ذلك، إنما ليس ما كتبته. كنت سأكتب، على الأرجح، شعرا رَجليا ساخرا، من نفسي ومن غيري ومن الكرة الأرضية والسماء على حد سواء. كنت سأكتب ما يجعلني أضحك. فقط لأنني راغب بالمتعة التي تثيرها النكتة.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أعتقد أن هذه المسألة خرجت من بين أيدينا كبشر. الماكينات المتحكمة بحياتنا ومستقبلنا لا تجيد التعامل مع العواطف. ونحن كائنات عاطفية. حتى الكلاب المنزلية حولناها إلى كائنات عاطفية، تحزن وتحب وتفرح. والأرجح أننا نجني عليها ونحملها ما لا تطيقه. العيش في هذا المعاصرة، إذا شئت تعريفه بجملة، هو العيش في نكران المتع. نعمل طيلة ساعات النهار كعبيد، والعاطلون عن العمل يحسدون هؤلاء العبيد على نعمة استعبادهم. ننجب أطفالا، ونكلفهم عقودا من حيواتهم وهم يسعون للتأقلم مع العالم حين يخرجون إليه بمفردهم. كل هذا الوقت لا نفعل سوى تعذيبهم (تعليمهم) لكي ينجحوا في تحمل العذاب الذي تعدهم به الحياة. هل أجرؤ على منع ابني من متابعة دراسته الجامعية؟ قطعا لا. رغم أنني أراه ينفق جل وقته في دراسة ما لن يحتاجه مستقبلا.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

> كل الفنون منذ فجر التاريخ تعيش معنا في هذه اللحظة

بلال خبيز

بطاقة

بلال خبيز، شاعر وكاتب وفنان لبناني من مواليد عام 1963، عمل في الصحافة المكتوبة والمرئية، منذ 1987، وشغل منصب أمين تحرير «ملحق النهار» بين عامي 1993 و2008 . كتب في دوريات عربية وأجنبية، وحاضر في جامعات ودور عرض أوروبية وأميركية وأسترالية ولبنانية. صدر له في الشعر: «ربّما ذكرى هواء»، و«عن مرض والدي والحَرّ الذي لا يُطاق». وفي النقد الأدبي والفني: «في أن الجسد خطيئة وخلاص»، وأعمال أخرى، من بينها: «عنقي أرفع من شعرة» (بالاشتراك مع وليد رعد وطوني شكر)، «المعرفة لا تسبق الجهد» (عمل تجهيزي مصوّر بالعربية والإنكليزية)، «الصورة الباقية والعالم الزائل» (بحث سياسي - فني - اجتماعي). وعمله الأخير، «التقدّم نحو الكارثة»، هو عبارة عن كتاب في النقد الفني السياسي، وقد صدر حديثاً عن «دار النهضة العربية» (بيروت).

متابعة

تونس الدولي للكتاب مأزق محاولة إرضاء الجميع كلّ عام

هل كان حفلاً لتوزيع الهدايا؟

افتُتح المعرض، الخميس الماضي، بحفل إعلان جوائزه. خطوةٌ أولى تعطي صورة عن التصوّرات التي تحكم تنظيمه، ومن ورائه واقع الثقافة في البلد

لوس ـ ليلى بن صالح

من تقاليد «معرض تونس الدولي للكتاب»، في السنوات الأخيرة، أن يبدأ بحفل توزيع جوائزه في مختلف قطاعات الإبداع الكتابي. ورغم أن المعرض دوليّ، فإنه يقتصر على توزيع الجوائز على المؤلّفين التونسيين، في حين أن وزارة الثقافة تنظم معرضاً آخر خاصّاً بالكتاب التونسي (أقيمت دورته الأخيرة في حزيران/ يونيو الماضي) كان يمكنه أن يضمّ مسابقة للكتب الصادرة محلّياً مع تخصيص جوائز المعرض الدولي لترسيخ بعض الإشعاع خارج الحدود.

هكذا، ومنذ افتتاحه، يوم الخميس الماضي، يصدّر المعرض عن نفسه صورة المغارق أكثر فأكثر في محلّيته. لكن لهذا الإصرار على إبقاء الجوائز في دائرتها التونسية الضيّقة منطقه الذي يدافع عنه المشرفون على مختلف الدورات، حتى وإن تحاشوا توضيح الأمر بشكل صريح. فالمسألة تتعلّق بمنظومة إرضاءات لا تكاد دورة من الدورات تخلو منها، وهذا ما يتجسّد في قائمة الجوائز، حيث نلمس حرصاً على إرضاء الجميع تقريباً، وبالتالي لا نكاد نستشعر أي تميّز يمكن إسنادُه إلى أصحاب التتويجات الممنوحة، وهي غير عادلة في حقّ مَن هم جديرون بها.

يتضمّن جدول الجوائز مجموعة من الفئات، أوّلها «جائزة الناشر» التي نالتها «دار نيرفانا للنشر». أمّا «جائزة الإبداع الأدبي»، فقد حازها عن فرع الرواية محمد عيسى المؤدّب عن روايته «حمام الذهب» (منشورات «مسكيلياني»)، وعن فرع القصّة منحت لطارق اللموشي عن مجموعته القصصية «إنسومنيا» (منشورات «بوب ليبريس»). وفي الشعر فاز السيد الهوّي عن ديوانه «الربيع ليس صدفة» (دار «ميارة»).

أمّا جائزة البحوث والدراسات، فقد مُنحت مناصفة للمؤرّخ الراحل محمد علي الحباشي عن كتابه «حركات المعارضة والمحاكمات السياسية» (منشورات «نحن»)، والباحث نور الدين الدقي عن كتابه «وسيلة بورقيبة: اليد الخفية» (دار «الجنوب»). وفي فئة الترجمة، منحت الجائزة للثنائي محمد المختار العبيدي وسماح حمدي عن نقلهما إلى العربية كتاب «دراسات في تاريخ أفريقيا والحضارة الإسلامية» للمؤرّخ محمد الطالبي عن «دار محمد علي» و«معهد تونس للترجمة». وذهبت «جائزة أدب الأطفال» مناصفة بين فتحية بن فرج عن قصة «آلة متكبرة» والحسناوي الزارعي عن مجموعته الشعرية «أمل». ومناصفةً أيضاً مُنحت «جائزة أدب اليافعين» لكلّ من يوسف رزوقة عن «جنينة هاني»، وأسمهان الفرجاني عن قصّة «إيدير».

لا نفتأ نلتفت إلى تواتر «تقسيم» الجوائز مناصفةً، وهو ما يبدو مثل تسوية لإرضاء أكبر عدد ممكن من المؤلّفين، وذلك لا يمكن أن نغفل عن مسألة أخرى تتعلّق بتوزيع الجوائز بين دور النشر، في وقت يبدو فيه جلياً أن القلّة القليلة من دور النشر هي التي تحرص على تنفيذ كتب بمعايير جودة عالية تكون جديرة بالجوائز. فنحن حين نرى كلّ هذه المؤسسات المختصّة في الكتاب متوّجة، سنعتقد بأن تونس تعيش نهضة على مستوى النشر، ولكن حين ننظر حولنا على أرض الواقع، لن نجد الكثير من هذه النهضة. يمكن أن نتابع ردود الأفعال التشكيكية في جدارة هذه الجوائز على مواقع التواصل الاجتماعي.

> تمنع ذهنية الترضيات الاعتراف بأي تميّز وراء الجوائز الممنوحة

ماجد زيلعة، من سلسلة لوحات «حكايا»، 2020

فعاليات

يستضيف «غاليري شريف ثابت» في بيروت معرضاً للفنانة اللبنانية **ماغالي كترا** (1979)، يستمرّ حتى التاسع من ديسمبر/ كانون الاول المقبل، تحت عنوان **ناسٌ قد تعرفهم**. على خلفيات حيادية، ترسم كترا اشكالاً ووجوها ضمن مجموعات من هؤلاء الأشخاص الذين نصادفهم في يومياتنا من دون معرفة الكثير عنهم.

تنظّم مؤسّسة «جهات» عند الخامسة من مساء السبت المقبل، ثالث جلسات نسخة هذا العام من برنامج «مينا» والتي تحمل عنوان **على رقعة واسعة**. تُبثّ الجلسة عبر تطبيق «زوم» وتتناول الحلول والمساعي التي يقوم بها فنانون عرب في الشتات في السنوات العشر الأخيرة. من المشاركين فيها التشكيلية **سلافة حجازي** (سورية/ الصورة) والموسيقي **خيّام اللامي** (العراق).

حمّام البابا هو رابع الأفلام التي تقدّمها «مؤسسة عبد الحميد شومان» في عمّان هذا الشهر، حيث يُعرض عند السادسة والنصف من مساء الثلاثاء، 23 من الشهر الجاري. يدور العمل، الذي أخرجه الأورغويانيان **سيزار تشارلون** و**إنريكي فرنانديز**، حول زيارة لبابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني إلى البلد عام 1988.

في **مكتبة فرنسا الوطنية** بباريس، افتُتح في الثالث من الشهر الجاري، ويستمر حتى الثالث عشر من شباط/ فبراير من العام المقبل، معرض **بودلير: الحداثة السوداوية**. يأتي المعرض بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لولادة الشاعر الفرنسي، حيث يستعيد مساره ويقدّم تفاصيل غير معروفة عن علاقته بالكتابة.